

## أضواء البيان

@ 158 أهلكنا قوم هود ، وجعلنا سبأً أحاديث ومزقناهم كل مُمَزَّقٍ كل ذلك بسبب تكذيب

الرسول ، والكفر بما جاءوا به . وهذا هو معنى قوله : { وَلَقَدْ أَهَلَّكَ نَا مَا  
حَوَّلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ } كقوم صالح وقوم لوط وقوم هود وسبأ ، فاحذروا من تكذيب  
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . لئلا ننزل بكم مثل ما أنزلنا بهم . وهذا الوجه لا ينافي  
قوله بعده { أَفَفَهُمُ الْغَالِيُونَ } والمعنى : أن الغلبة لحزب الله القادر على كل شيء  
، الذي أهلك ما حولكم من القرى بسبب تكذيبهم رسلهم ، وأنتم لستم بأقوى منهم ، ولا أكثر  
أموالاً ولا أولاداً . كما قال تعالى : { أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ  
مِن قَبْلِهِمْ أَهَلَّكَ نَاهُمْ } . وقال تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ  
مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَّا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا  
كَانُوا يَكْسِبُونَ } ، وقال تعالى : { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ  
مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا فِي الْأَرْضِ رُضًا وَعَمْرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا } ،  
إلى غير ذلك من الآيات . .

وإنذار الذين كذبوه صلى الله عليه وسلم بما وقع لمن كذب من قبله من الرسل كثير جداً في  
القرآن . وبه تعلم اتجاه ما استحسنته ابن كثير رحمه الله من تفسير آية ( الأنبياء ) هذه  
بآية ( الأحقاف ) المذكورة كما بينا . .

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة : فإن قلت : أي فائدة في قوله { نَأْتِي  
الْأَرْضَ رُضًا } ؟ قلت : فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين ، وأن عساكرهم  
وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين ، وتأتيها غالبية عليها ناقصة من أطرافها ( ا ه منه )  
، والله جل وعلا أعلم . قوله تعالى : { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِّلْيَوْمِ  
الْقِيَامَةِ فَلَا تَطُولُ لَكُمْ نَفْسٌ شَيْئًا } وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ  
خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية  
الكريمة : أنه يضع الموازين القسط ليوم القيامة . فتوزن أعمالهم وزناً في غاية العدالة  
والإنصاف : فلا يظلم الله أحداً شيئاً ، وأن عمله من الخير والشر ، وإن كان في غاية القلة  
والدقة كمثقال حبة من خردل ، فإن الله يأتي به . لأنه لا يخفى عليه شيء وكفى به جل وعلا  
حاسباً . لأحاطة علمه بكل شيء . .

وبين في غير هذا الموضع : أن الموازين عند ذلك الوزن منها ما يخف ، ومنها ما يثقل .  
وأن من خفت موازينه هلك ، ومن ثقلت موازينه نجا . كقوله تعالى : { وَالْأَوْزَانُ